قصص من السيرة

(١)

النسب النبوي

بقلم

د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثنيان

مكتبة العبيكان

obeikandl.com

ح مكتبة العبيكان، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الثنيان، عبدالعزيز بن عبدالرحمن

النسب النبوي. - الرياض.

٣٢ص، ١٧X٢٢سم. (سلسلة قصص من السيرة؛ ١)

ردمك: ٢-٨٣-٤٠-٩٩٦٠

١- السيرة النبوية أ- العنوان ب- السلسلة

ديوي ٢٣٩ ٢٢ / ٣٩٦٨

ردمك: ٢-٨٣-٤٠-٩٩٦٠ رقم الإيداع: ٣٩٦٨ / ٢٢

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ /٢٠٠٢م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر

مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة.

ص.ب: ٦٢٨٠٧ الرياض ١١٥٩٥

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤، فاكس: ٤٦٥٠١٢٩

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

المقدمة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فهذه مجموعة قصصية مختارة جاءت بعد قراءة متأنية لسيرة المصطفى ﷺ العطرة في كتاب السيرة النبوية لابن هشام، وفي بعض الكتب الأخرى القديمة والحديثة.

وكان جُهدي جمع الموضوع الواحد وربط أحداثه بعضها ببعض، ومن ثم إعادة صياغته وإخراجه في قصة مستقلة بذاتها.

أسأل الله أن يرزقنا شفاعة المصطفى ﷺ في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

عبدالعزيز

الرياض ٢٨ / ١٠ / ١٤٢٢هـ

١٢ / ١ / ٢٠٠٢م

obeikandl.com

قال ﷺ: «ما ولدتني بغي قط منذ كنت في صلب آدم، فلم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر، حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة»[1].

وقال ﷺ: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[2].

وصدق المصطفى ﷺ، فقد ولد في أفضل الأحياء، ونشأ في أكرم البقاع؛ ومن هنا كان لزاماً على من يتصفح سيرة هذا النبي الكريم أن يعرف سيرة آبائه الكرام، وأجداده العظام، وكيف سادوا قومهم؟ وما هي مكانتهم عند العرب؟

سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن صفاته ﷺ وقال له: كيف نسبه فيكم؟

قال أبو سفيان: هو فينا ذُو نَسَبٍ.

---

(١) ابن عساكر - عن أبي هريرة.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبدالبر ١/ ٢٦.

قال هرقل: كذلك الرُّسل تُبعث في أنساب قومها. يعني في أكرمها أحسابًا وأكثرها قبيلة[١].

لقد كان بيت النبوة من أعز البيوت العربية وأعلاها شرفًا، وأسماها قدرًا، وأجلها مكانة، وأبرزها جاهًا.

فهو المصطفى ﷺ القرشي محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب (شيبة) ابن هاشم (عمرو) بن عبدمناف (المغيرة) بن قصي بن زيد، بن كلاب ابن مُرَّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النَّضر بن كنانة ابن خُزيمة بن مُدركة (عامر) بن إلياس بن مُضر بن نزار بن مَعَدِّ بن عدنان.

وسُميت قريش قريشًا من التقريش، وهي التجارة والاكتساب، وقيل: إنما سميت بذلك لتجمُّعها من بَعدِ تفرقها، ويُقال للتجمع: التقريش.

وسأتناول أجداد الرسول الكريم ﷺ الأدنَيْن وأعرض لشيء من سيرتهم التي تصور مكانتهم في قومهم.

---

(١) البداية والنهاية، ٣/ ٣٥٩.

obeikandl.com

فعبدالمطلب جد الرسول الأول اسمه شيبة، وعاش مائة وأربعين سنة، واشتهر وعرف بعبدالمطلب؛ لأن أباه هاشمًا كان قد شخص في تجارة له إلى الشام، فسلك طريق المدينة المنورة، فلما قدم المدينة نزل فيها، فرأى سلمى بنت عمرو بن زيد من بني عدي بن النجار، فأعجبته فخطبها إلى أبيها عمرو، فزوجه إياها، وشرط عليه أبوها أن لا تلد ولدًا إلاّ في أهلها، وارتحلت معه إلى مكة، فلما أثقلت ردّها إلى أهلها، ومضى إلى الشام فمات بغزة.

وولدت سلمى غلامًا سمته شيبة، قيل: سمّته شيبة تفاؤلاً، وقيل: لأنه ولد وفي رأسه شيبة، ومكث الطفل بيثرب سبع سنين أو ثمان، حتى مرّ رجل من بني الحارث بيثرب، فرآى غلمانًا يلعبون بالسهام، وكان من بينهم واحد كلما أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيّد البطحاء.

فقال له الحارثي: مَنْ أنت؟

قال: أنا شيبة بن هاشم بن عبدمناف.

فلما أتى الحارثيُّ مكةَ قال للمطلب بن عبدمناف وهو جالس في الحجر: يا أبا الحارث، إني مررت بيثرب فوجدت غلمانًا يلعبون

بالسهام، وفيهم غلام إذا أصاب قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيّد البطحاء.

فقال المطلب: والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به.

فقال له الحارثي: هذه ناقتي بالفناء فاركبها.

ومن فوره امتطاها المطلب، وورد يثرب عِشاءً، حتى أتى بني عدي بن النجار، فإذا غلمان يضربون كرة بين ظهري مجلس، فعرف ابن أخيه، فقال للقوم: أهذا ابن هاشم؟

قالوا: نعم، هذا ابن أخيك، فإن كُنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم أمه، فإنها إن علمت لم تدعه، وحلْنا بينك وبينه.

فدعاهُ المطلبُ وقال له: يا ابن أخي أنا عمُّك المطلب، وقد أردتُ الذهاب بك إلى قومِك، وأناخ راحلته، فأسرع الغلام إليه، وما كَذَّب أن جلس على عجز الناقة، فانطلق به ولم تعلم به أُمه حتى كان الليل، فقامت تدعوه، وانطلقت تسأل عن ابنها، فقيل لها: إن عمه ذهب به إلى مكة.

وقدم المطلبُ به مكة وهو مردفه على بعيره فقالت قريشٌ: عبدالمطلب ابتاعه، وبذلك سمي شيبةُ عبدالمطلب، ولكن المطلب قال: ويحكم إنما هو ابن أخي هاشم قدمتُ به من المدينة(١).

وقيل: إن المطلب لما ورد المدينة وأراد الغلام على الراحلة، قال الغلام: ذلك إلى الوالدة، فلم يزل بها حتى أذنت له.

وقال عبدالمطلب:

عرفتُ شيبةَ والنجَّارُ قد جعلَت أبناؤها حولَه بالنَّبلِ تنتَضِلُ

وأكرم المطلبُ ابنَ أخيه شيبة الذي سُمي فيما بعد بعبدالمطلب.

وأوقفه المطلب على مُلك أبيه هاشم، وسلمه إليه.

وكان المطلب قد ورث السقاية والرفادة من بعد أخيه هاشم، وكان ذا شرف في قومه وفضل في عشيرته، وكانت قريش تُسميه الفيض لسماحته وفضله.

وتوفي المطلب بردمان من أرض اليمن، وتبارى الشعراء في رثائه، يقول أحدهم:

---

(١) الروض الأنف، ١/ ٢٥١.

يا عين جُودي وأذر الدَّمعَ وَانهمري وابكي على السرِّ من كعبِ المُغيرات[١]

صعبِ البديهةِ لا نِكْسٍ ولا وكِلٍ ماضي العزيمةِ متلافِ الكريمات[٢]

صقرٍ توسطَ من كعبٍ إذا نُسِبوا بُحبُوحَةَ المجدِ والشُّمِّ الرّفيعاتِ[٣]

ثم اندبي الفيضَ والفيّاضَ مُطلبًا واستخَرطي بعدَ فَيْضاتٍ بجمّاتِ[٤]

وغلب اسم عبدالمطلب على اسم شيبة وصار يعرف بعبدالمطلب، وعاش كريماً بين قومه.

ومضت الأيام ونما الطفل وأيفع الفتى، ثم صارت له مشكلة مع عمه نوفل، فقد غلبهُ عمُّه على بعض أملاكه التي ورَّثها له أبوه هاشم، ومشى عبدالمطلب إلى رجالات قريش فسألهم النصرة على عمه نوفل، فقالوا: لسنا بداخلين بينك وبين عمك.

فلما رأى عبدالمطلب ذلك كتب إلى أخواله في المدينة يصف لهم حال عمِّه نوفل ويشكوه إليهم، ويطلبُ منهم النُّصرة عليه وقال في

(١) السر: الخالص النسب.

(٢) النكس: الدنيء من الرجال. والوكل: الضعيف الذي يتوكل على غيره.

(٣) البحبوحه: وسط الشيء. والشُّمَّ: العالية.

(٤) استخرطي: استكثري. والجمات: المُجتمع من الماء. استعاره هنا للدموع.

أبيات له[١]:

يا طُول ليلي لأحـزاني وأشـغـالي ... هل من رسـولٍ إلى النجـار أخـوالي

يُنبي عـديًّا وديـنـارًا ومـازنِهـا ... ومـالكًا عِصـمةَ الجيـرانِ عن حـالي

قد كُنتُ فيكم ولا أخشى ظُلامةَ ذي ... ظُلمٍ عـزيزًا منيـعًـا ناعِمَ البـالِ

حـتى ارتحلتُ إلى قـومي وأزعـجني ... عن ذاكَ مُطَّلِبٌ عـمِّي بتـرحـالِ

وكُنتُ مـا كـان حـيًّـا ناعِـمًـا جذلاً ... أمـشي العِـرَضْنَةَ سَحـابًا لأذيالي

فـغـابَ مُطَّلِبٌ في قَـعـرِ مُظلمـةٍ ... وقـام نوفلُ كي يعـدو على مـالي

أأن رأى رجـلاً غـابتْ عُـمـومـتُـهُ ... وغَـابَ أخـوالُهُ عنه بلا والِ؟

أنحى عليـه ولمَ يَحـفظ له رَحِـمًـا ... مـا أمنـعَ المرءَ بين العـمِّ والخـالِ

فاستنفِروا وامنعوا ضيم ابنِ أختكُمُ ... لا تخـذلُوهُ ومـا أنتم بِخُـذَّالِ

ما مِثلُكُم في بني قحطانَ قاطبـةً ... حيٌّ لجـارٍ وإنعـامٍ وإفـضـالِ

أنتم لِيـانٌ لِمَنْ لانَـتْ عَـريكتُـهُ ... سِلْمٌ لكم وسِمـامُ الأبْلَخِ الغـالي[٢]

(١) تاريخ الطبري، ٢/ ٢٥٠.

(٢) الأبلخ، المتكبر.

obeikandl.com

وأسرع إليه خاله من المدينة أبو أسعد بن عدي النجاري في ثمانين ركباً حتى أتى الأبطح، وبلغ عبدالمطلب قدومهم فخرج يتلقاهم فقال: المنزل يا خال!

فقال أسعد: أمَّا حتى ألقى نوفلاً فلا.

قال عبدالمطلب: تركتُه جالسًا في الحجر في مشايخ قريش، فأقبل أسعد حتى وقف على رأس نوفل، ثم استل سيفه، وقال: ورب هذه البنيّة -يقصد الكعبة المشرفة- لتردن على ابن أختنا حقه أو لأملأن منك السيف.

قال نوفل: فإني ورب هذه البنية أردُّ حقَّه.

فأشهد عليه أسعد من حضر، ثم قال: المنزل يا ابن أختي، وأقام عنده ثلاثًا واعتمر.

وتولى عبدالمطلب بن هاشم بعد عمِّه المطلب السقاية والرفادة، فأقامها للناس، وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون، وما كانوا يبذلونه، وشرف في قومه شرفًا لم يبلغه أحد من آبائه، وأحبه قومه، وعظم خطره فيهم، وصار له شأن، وازداد أمره حين كشف عن بئر زمزم مع ابنه الحارث.

يقول عبدالمطلب: إني لنائم في الحجر، إذ أتاني آتٍ فقال: احفر طَيْبة[1] قال: قلت: وما طَيْبةُ؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان من الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني، فقال: احفر برَّة[2]، قال: وما برَّة؟ قال: ثم ذهب عني، فلما كان الغدُ رجعتُ إلى مضجعي، فنمتُ فيه، فجاءني فقال: احفر المضنونة[3] قال: فقلتُ: وما المضنونةُ؟ قال: ثم ذهبَ عني، فلما كان الغدُ رجعتُ إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءني، فقال: احفر زمزم، قال: قُلتُ: وما زمزمُ؟ قال: لا تنزفُ[4] أبداً ولا تُذمُّ[5]، تسقي الحجيج الأعظم، وهي بين الفرثِ والدَّم، عند نُقرة الغُرابِ الأعصَم[6]، عند قرية النَّملِ.

---

(١) قيل لزمزم طيبة، لأنها للطيبين والطيبات من ولد إبراهيم.

(٢) قيل لها برة، لأنها فاضت على الأبرار وغاضت عن الفجار.

(٣) قيل لها مضنونة، لأنها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق.

(٤) لا تنزف: لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها.

(٥) لا تذم: أي لا توجد قليلة الماء؛ تقول: أذمت البئر: إذا وجدتها قليلة الماء.

(٦) الأعصم: الذي في جناحيه بياض؛ وقيل غير ذلك.

قال ابن إسحاق: فلما بُيِّن له شأنها، ودُلَّ على موضعها، وعَرفَ أنه قد صُدق؛ غدا بمعوله ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطَلب، ليسَ لهُ يومئذٍ ولدٌ غيره، فحفر فيها، فلما بدا لعبدالمطلب الطي[1] كبَّرَ، فعرفت قُريشٌ أنهُ قد أدرك حاجتهُ.

فقاموا إليه فقالوا: يا عبدالمطلب؛ إنها بئرُ أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقّاً، فأشركنا معك فيها.

قال: ما أنا بفاعل، إن هذا الأمر قد خُصِصتُ به دونكم، وأعطيته من بينكم.

فقالوا له: فأنصِفنا فإنا غيرُ تاركيك حتى نُخاصمك فيها.

قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أُحاكمكم إليه.

قالوا: كاهنة بني سعد هُذيم، قال: نعم.

قال: وكانت بأشرافِ[2] الشام، فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني أبيه من بني عبدمناف، وركب من كلِّ قبيلة من قريش نفرٌ، قال: والأرضُ إذ ذاك مفاوزُ.

---

(١) الطي: الحجارة التي طوى بها البئر.

(٢) أشراف الشام: ما ارتفع من أرضه.

قال: فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض تلك المفاوزِ بين الحجاز والشام فَنيَ ماءُ عبدالمطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكةِ، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش، فأبوا عليهم، وقالوا: إنّا بمفازة، ونحنُ نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم.

فلما رأى عبدالمطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال: ماذا ترون؟

قالوا: ما رَأيُنا إلا تبعٌ لرأيك، فمُرْنا بما شئت.

قال: فإني أرى أن يحفرَ كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجلٌ دفعه أصحابه في حفرته، ثم وارَوْه، حتى يكون آخركم رجلاً واحداً، فضيعةُ رجل واحد أيسر من ضيعةِ ركبٍ جميعًا.

قالوا: نِعمَ ما أمرتَ به.

فقام كل واحدٍ منهم فحفرَ حُفْرته، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشًا.

ثم إن عبدالمطلب قال لأصحابه: والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت، لا نضربُ في الأرض ولا نبتغي لأنفسنا لعجزٌ، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد، ارتحلوا.

فارتحلوا حتى إذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون إليهم ما هُم فاعلون تقدم عبدالمطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خُفها عينٌ من ماء عذب، فكبَّر عبدالمطلب، وكبَّر أصحابه، ثم نزلَ فشربَ وشربَ أصحابه، واستقوا حتى ملَؤُوا أسقيتهم.

ثم دعا القبائل من قريش: فقال: هلُمَّ إلى الماء فقد سقانا الله، فاشربوا واستقوا، فجاؤوا فشربوا واستقوا، ثم قالوا: قد والله قُضي لك علينا يا عبدالمطلب، والله لا نُخاصمك في زمزم أبدًا، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاكَ زمزمَ، فارجع إلى سقايتك راشداً.

فرجعَ ورجعُوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخلوا بينه وبينها.

وكان عبدالمطلب حين همّ بحفر زمزم وجد مقاومة من قريش، ولم يكن له من الولد آنذاك سوى الحارث، وكان الحفر بين وثني قريش إساف ونائلة، اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها.

ولما قام عبدالمطلب ليحفر ورأت قريش منه الجد، قاموا إليه وقالوا له: لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما.

فقال عبدالمطلب لابنه الحارث: ذُد عني حتى أحفر، فوالله لأمضين لما أُمِرْتُ به.

ولما عرفت قريش أنه جاد، وغير تارك الحفر، خلوا بينه وما أراد وكفوا عنه وتركوه يحفر، فلم يلبث عبدالمطلب إلا اليسير، حتى بدا له الطيّ فكبر، وعرف أنه قد صُدِقَ.

ونذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرنّ أحدهم لله عند الكعبة.

ومضت الأيام، وازداد شأنه وعلا أمره، ونمت أسرته ورزقه الله من الولد عشرة نفر، ومن البنات ست، وعند ذلك جمع أبناءه وأخبرهم بنذره، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك، فأطاعوه، وقال بنوه: كيف نصنع؟

قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحًا ثم يكتب فيه اسمه، ثم ائتُوني، ففعلوا ثم أتوهُ، فدخلَ بهم على هُبلَ في جوف الكعبة، وكان هُبل على بئر في جوف الكعبة، وكانت تلكَ البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدى للكعبة.

وقال عبدُالمطلب لصاحب القِداح: اضرِب على بنيَّ هؤلاء بقداحهم هذه، وأخبرَه بنذره الذي نذر.

فأعطاه كلُّ رجل منهم قدحَه الذي فيه اسمه، وكان عبدالله أحبَّ ولد عبدالمطلب إليه، وهو أبو رسول الله ﷺ.

فلما أخذ صاحبُ القِداحِ القِداحَ ليضرب بها، قامَ عبدُالمطلب عند هُبل يدعو الله، ثم ضربَ صاحبُ القِداحِ فخرج القدحُ على عبدالله، فأخذهُ عبدالمطلب بيده وأخذَ الشَّفرةَ، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت إليه قريشٌ من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبدالمطلب؟ قال: أذبحه، فقالت له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبدًا حتى تُعذرَ فيه، لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجلُ يأتي بابنه حتى يذبحهُ، فما بقاء الناس على هذا؟

وقال له المُغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة، وكان عبدالله ابن أخت القوم: والله لا تذبحه أبدًا حتى تُعذرَ فيه، فإن كان فداؤه بأموالنا فديناه، وقالت له قريش وبنوه: لا تفعل، وانْطَلِقْ به إلى الحجاز، فإن به عرّافةً فسلها، ثم أنت على رأس أمرك: إن أمرتك بذبحه ذبحته، وإن أمرتك بأمرٍ لك وله فيه فرجٌ قبلته.

فانطلقوا إلى العرافة فسألوها، وقصّ عليها عبدُالمطلب خبره وخبر ابنه، وما أرادَ به، ونَذْرُه فيه، فقالت لهم: ارجعوا عني اليوم، فرجعوا من عندها، فلما خرجوا عنها، قام عبدالمطلب يدعو الله، ثم غدوا عليها، فقالت لهم: قد جاءني الخبر، كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرٌ من الإبل، قالت: فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم، وقربوا عشرًا من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، فإن خرجت على الإبل فانحروها عنه، فقد رضي ربكم، ونجا صاحبكم.

فخرجوا حتى قدموا مكة، فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبدالمطلب يدعو الله، ثم قربوا عبدالله وعشرًا من الإبل، وعبدالمطلب قائمٌ عند هُبل يدعو الله عزّ وجل، ثم ضربوا فخرج القدح على

عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل عشرين، وقام عبدالمطلب يدعو الله عز وجل، ثم ضربوا فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثلاثين، وقام عبدالمطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القدح على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبلُ أربعين، وقام عبدالمطلب يدعو الله، ثم ضربوا، فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل خمسين، وقام عبدالمطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ستين، وقام عبدالمطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل سبعين، وقام عبدالمطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل ثمانين، وقام عبدالمطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل تسعين، وقام عبدالمطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدحُ على عبدالله، فزادوا عشراً من الإبل، فبلغت الإبل مائةً، وقام عبدالمطلب يدعو الله، ثم ضربوا فخرج القدحُ على الإبل، فقالت قريش ومن حضر: قد انتهى رضا ربك يا

عبدالمطلب، فزعموا أن عبدالمطلب قال: لا والله، حتى أضرب عليها ثلاث مرات، فضربوا على عبدالله وعلى الإبل، وقام عبدالمطلب يدعو الله، فخرج القدحُ على الإبل؛ ثم عادوا الثانية، وعبدالمطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدحُ على الإبل؛ ثم عادوا الثالثة وعبدُالمطلب قائم يدعو الله، فضربوا فخرج القدحُ على الإبل؛ فنحُرت، ثم تركت لا يُصدُّ عنها إنسان ولا يمنع.

ونجا والد رسول الله ﷺ عبدالله من الذبح، وتزوج السيدة آمنة بنت وهب بن عبدمناف بن زهرة، وكان والدها سيّد بني زهرة نسبًا وشرفًا.

وكانت آمنة أفضل نساء قريش نسبًا وموضعًا، وتوفي عبدالله والرسول ﷺ في بطن أمه، وبعد ولادة رسول الله ﷺ تولاه جده عبدالمطلب، حتى بلغ -عليه الصلاة والسلام- ثمان سنين، وعندها توفي عبدالمطلب، وكان قد عهد برعاية رسول الله ﷺ إلى عمه أبي طالب؛ لأن أبا طالب وعبدالله والد الرسول أخوان لأب وأم، فأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ المخزومية.

وتبارى الشعراء في رثاء عبدالمطلب وذكر محاسنه. يقول أحدهم:

أعيني جودا بالدموع على الصـــدر ولا تسأما أُسقيتُما ســـبلَ القطر[1]

على شيبة الحمد الذي كان وجهه يُضيء سـواد الليل كالقمر البدر

طوى زمزمًا عند المقـام فأصبحت ســـقايتهُ فخرًا على كل ذي فخر

ولما توفي عبدالمطلب وَلِيَ زمزم والسقاية عليها من بعده العباس بن عبدالمطلب، وهو يومئذ أصغر إخوته سنًا، فلم تزل إليه حتى قام الإسلام وهي بيده، فأقرها رسول الله ﷺ على ما مضى من ولايته.

هذا هو جد رسول الله ﷺ الأول.

أما جده الثاني، هاشم بن عبدمناف، فكان يقال: إن اسمه عمرو؛ وإنما سمي بهاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمهم إياه؛ وذلك أنه أصابت قريش سنة قحط، فرحل إلى فلسطين فاشترى منها الدقيق، وقدم به مكة، وأمر به فخبز له، ونحر جزورًا، ثم اتْخذَ لقومه مَرَقَهُ ثريداً بذلك الخبز.

ويُروى أن هاشـمًـا هو أول من سنّ الرحلتين لقريش، رحلة الشتاء، ورحلة الصيف.

---

(١) السبل: المطر.

يقول الشاعر ابن الزِّبَعْرَي :

عمرو الذي هَشَم الثريد لقومه ورجالُ مكةَ مُسنتون عِجافُ[1]

وهو الذي سنَّ الرحيل لقومِهِ رِحَلَ الشِّتاء ورِحلَةَ الأصيافِ

وكان هاشمٌ قد وَلِي بعد أبيه عبدمناف السقاية والرفادة، وكان موسراً، وكان إذا حضر الحجاج قام في قريش فقال: يا معشر قريش، إنكم جيران الله وأهلُ بيته، وإنه يأتيكم في هذا الموسم زُوَّار الله وحُجاج بيته، وهم ضيوف الله، وأحق الضيف بالكرامة ضيفهُ، فاجْمَعوا لهم ما تصنعون لهم به طعامًا، أيامهم هذه التي لابد لهم من الإقامة بها، فإنه والله لو كان مالي يسع ذلك ما كلفتكموه.

ويستجيب أهل مكة لندائه، ويُسهم رجال قريش كلٌّ بقدر ما عنده، ويصنع للحجاج طعامًا، حتى يصدروا من مكة.

والجد الثالث لرسول الله هو عبدمناف الذي يسمى بالقمر لجماله وحسنه، واسم أمه حُبى بنت حُليل من خزاعة.

---

(١) المسنتون: الذين أصابتهم السنة الجدبة الشديدة.

وقيل: إن سبب تسميته بعبدمناف أن أمه دفعته إلى أعظم صنم في مكة (مناف)[1] تديناً منها بذلك، فغلب عليه اسمُ عبدمناف، وإلا فإن اسمه المغيرة بن قصي.

هذا وقد شرُف عبدُمناف في زمان أبيه قُصي، وذهب كل مذهب، حتى إن والده قصيّاً لما كَبُر ورَقَّ عظمه، ورأى هذه المكانة لعبدمناف وهذا الجاه، قال لابنه البكر عبدالدار: أما والله يا بني لألحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك؛ لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكونَ أنت تفتحها له، ولا يَعقدُ لقريش لواءً لحرب بها إلا أنت بيدك، ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلا في دارك؛ فأعطاه دار الندوة التي لا تَقْضي قريشٌ أمراً من أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة.

وبهذا جعل قصي كل ما بيده من أمر قومه إلى ابنه عبدالدار، وكان قُصي لا يُخالَفُ ولا يُرَدُّ عليه شيءٌ صنعه.

---

(١) مناف: صنم بمكة. الطبري، ٢/ ٢٥٤.

أما منات: فهي للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب. الروض الأنف، ١/ ١٧٣.

إلا أنه بعد وفاة قُصي وتفرق الأبناء رأى بنو عبدمناف بن قصي وهم عبدشمس، وهاشم، والمطلب، ونوفل، أن يأخذوا ما بأيدي بني عبدالدار بن قصي، مما كان قصي قد جعله لعبدالدار من الحجابة، واللواء والسقاية، والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك.

وتفرقت قريش، فكانت طائفة مع بني عبدمناف، وطائفة مع بني عبدالدار، وتطور الخلاف، وكادت الحرب تقع بين الفريقين، لولا صوت عاقل دعا إلى الصلح، وأن تكون لبني عبدمناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبدالدار، فقبل الفريقان وتراضوا، وتحاجز القوم عن الحرب، وثبت كل قوم مع من حالفوا، فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «ما كان من حلف في الجاهلية فإن الإسلام لم يزده إلا شدة».

ويريد رسول الله ﷺ بذلك الاتفاق على الخير ونصرة الحق.

أما الجد الرابع فهو قصي بن كلاب بن مرة واسمه زيد ولكن غلب عليه اسم قصي، وذلك أن والده كلابًا تزوج أم قصي فاطمة بنت سعد بن سيل من أزد شنوءة فأنجبت له ولدين، سماهما زهرة وزيد،

ثم توفي كلاب، وتزوجت من بعده بربيعة بن حرام من بني عذرة بن قضاعة، وارتحلت معه بابنها زيد إلى دياره بقضاعة بأشراف الشام وزيد صغير في مرحلة الفطام، وأنجبت من زوجها الثاني أخاه لأمه رزاح بن ربيعة، وكان لربيعة امرأة أخرى أنجبت له ثلاثة أبناء.

وشب زيد في حجر زوج أمه ربيعة، وسُمي قصيًا لبعد ديار آبائه عن الشام.

وبينما زيد بن كلاب بأرض قضاعة لا ينتمي إلاّ إلى ربيعة بن حرام، صار بينه وبين رجل من قضاعة خلاف.

فأَنَّبَه القضاعي بالغربة وقال له: ألا تلحق بقومك ونسبك، فإنك لست منا، فرجع قُصيٌّ إلى أمه، وقد وجد في نفسه مما قال له القضاعي، فسألها عما قال له ذلك الرجل، فقالت له: أنت والله يا بني أكرم منه نفسًا ووالدًا، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي، وقومك بمكة عند البيت الحرام، وفيما حوله.

فقرر قُصيٌّ الخروج إلى قومه واللحاق بهم، وكَرِه الغربة بأرض قضاعة.

فقالت له أمه: يا بني لا تَعجّل بالخروج حتى يدخل عليك الشهرُ الحرام، فتخرج في حاج العرب، فإني أخشى عليك أن يُصيبك بعض البأس.

وانتظر قصيٌّ حتى إذا دخل الشهر الحرام، وخرج حاج قضاعة، خرج معهم حتى قدم مكة، ولما فرغ قصي من الحج، أقام بمكة وكان رجلاً جلداً ألمعيًا طموحًا، وكان أمر البيت وإمارة مكة بعد جرهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم -عليه السلام- لبني بكر وخزاعة، ثم انفردت خزاعة بالأمر وصار الشأن لهم يتوارثونه كابراً عن كابر.

وكانت قريش جماعات متقطعة، وبيوت متفرقة في قومهم من بني كنانة.

ثم إن قصي بن كلاب بعد أن استقر به المقام بمكة، خطب إلى حُليل بن حبشيّة بن سلول بن كعب الخزاعي آخر من ولي البيت من خزاعة، فزوجه ابنته حبَّى بعد أن عرف حُليل نسبه ومكانته.

ومضت الأيام وتُوفي حُليل الخزاعي، وعلا شأن قصي وعظم أمره، وانتشر ولده، وكثر ماله، ورأى أنه أولى بالكعبة وبإمارة مكة

من خزاعة وبني بكر، وأن قريشـًا خيار ولد إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-، وأنهم صريح ولده، وأن الشأن يجب أن يكون لهم.

ولهذا كلم رجالاً من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة، فقبلوا دعوته وبايعوه على ذلك، واستنجد بقضاعة فكتب إلى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة بن حرام وهو ببلاد قومه قضاعة، ودعا أخاه إلى نصرته والقيام معه.

واستجاب الأخ لأخيه فقام رزاح بن ربيعة في قضاعة يدعوهم، ويطلب منهم المدد ونُصْرة أخيه في مكة، والخروج معه إليه، فأجابوه إلى ما دعاهم، وقدم رزاح بن ربيعة ومعه إخوته من أبيه، حسن بن ربيعة، ومحمود بن ربيعة، وجُلهمة بن ربيعة وجَمْعٌ من قُضاعة.

وخرج قصي بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة وقاتلوا خزاعة وبني بكر حتى كثرت القتلى في الفريقين جميعًا، ثم إنهم تداعو إلى الصلح، وإلى أن يحكموا بينهم رجلاً من العرب، فحكموا يَعْمُر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبدمناف بن كنانة، فقضى

بينهم بأن قصيًا أولى بالكعبة وأمْر مكة من خزاعة، وأن كلَّ دمٍ أصابه قصَي من خزاعة وبني بكر موضوع يَشْدخُه تحت قدميه، أي يبطله.

وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة، ففيه الديّة مؤداة، وأن يُخلَّى بين قُصي وبين الكعبة ومكة.

وَوَلِيَ قصي البيتَ وأمرَ مكة، وجمع قومَه من منازلهم إلى مكة، وتملّك على قومِه وأهلِ مكة فملكوه، وخرجت خُزاعة وبنو بكر من مكة.

وكانت إليه الحجابة؛ وهي أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحد إلا بإذنه.

والسقاية؛ وهي سقيا زمزم حيث كانوا يصنعون بها شرابًا في الموسم للحاج ويمزجونه تارة بالعسل، وتارة باللبن، وتارة بالنبيذ، ويفعلون ذلك تطوعًا من عند أنفسهم.

كما صارت إليه الرفادة، وهي طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد.

وكذلك الندوة؛ وهي الاجتماع للمشورة والرأي، وكانت الدار التي اتخذها قصي لذلك يقال لها: دار الندوة.

أما اللواء؛ فهي الراية في الحرب، فلا يعقد لواء الحرب ويأخذها إلا هو.

وبذلك حاز قصي شرف مكة كله، وقَطَّع مكة رباعًا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها.

وسمّت قريشٌ قُصيّاً مُجَمعًا لأنه جمعهم، وتيمّنت بأمره، فما تُنكح امرأة، ولا يتزوج رجل من قريش، وما يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يعقده لهم بعض ولده.

وكان أمره في قريش في حياته وبعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره، واتخذ لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضي أمورها.

ولما تُوفِّي قُصي صار الأمر والشأن في مكة لأبنائه من بعده، وقال الشاعر:

قُصيٌّ لعمري كان يُدعى مُجمِّعا ... به جمع الله القبائل من فهر[1]

هؤلاء أجداد المصطفى ﷺ ورثوا المجد كابراً عن كابر، وطوقهم سيّد البشر المصطفى ﷺ المجد كله على أهل الأرض كافة، حتى يومنا هذا.

اللهم ارزقنا اتباعه، واهدنا طريقه المستقيم، واجعلنا من وُرّاد حوضه ﷺ.

(١) البداية والنهاية، ٣/ ٣٥٩.

obeikandl.com